العدد(1358) السنة السادسة-السبت (1) تشرين الثاني 2008 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الارتال ونقاط التفتيش تخلق فوضى مرورية في بغداد

ترجمة : عمار كاظم محمد

كانت حركة السير ببغداد في حالة توقف تام السيارات والشاحنات والحافلات الصغيرة تزدحم على احد التقاطعات بينما يحاول رجال الشرطة تسهيل حركة المرور بكثير من الصعوبات و كانت منبهات السيارات « الهورنات » والغبار وتنهدات الضجر تنطلق من صدور آلاف السواق

والركاب الذين كانوا يجلسون ساكنين فيما أصبح مشهدا يوميا من الفوضى في العاصمة العراقية حيث قطعت نقاط التفتيش كل الطرق الرئيسة تلك النقاط التي يقف فيها الجنود أو رجال الشرطة الذين يقومون بعملية مسح السيارات المارة بحثا عن احتمالية وجود سيارة مفخخة بسبب الهجمات التي حصلت في نهاية شهر أيلول. الأمر الذي دفع السلطات لتشديد المراقبة إضافة إلى اجهزة كشف المتفجرات الجديدة التي زودت بها الأجهزة الأمنية والتي تبدو مثل شيء يشبه السلاح أو المثقاب الصغير.

كان الجنود يسيرون بجانب كل سيارة وهم يحملون تلك الأجهزة الصغيرة التي من المفترض أن تستكشف مادة (الـ تي أن تي) لكنها لسوء الحظ لم تعرف إلا باكتشافها لرائحة العطور القوية ومواد الغسيل .

إن عمليات المراقبة الشديدة تعني فيما تعنيه إن على سير المرور أن ينتظر طويلا وهو يبدو كذلك بالنسبة للأشخاص الذين يملون الانتظار بما فيها عوامل التأخير الأخرى كقوافل الجيش الأمريكي والقوافل الدبلوماسية والتي تغلق الطرق بالكامل عند مرورها لتسمح فقط للدبلوماسيين والمسؤولين العسكريين الأمريكان بالذهاب إلى اجتماعاتهم هذا إضافة إلى القوافل الحكومية العراقية التي تحمل إشارات ضوئية حمر وزرق وتفتح صفارات الإنذار العالية حيث تسبب الازدحام بسيطرتها على الطريق في أثناء مرورها فيه.

لقد كنت ذاهبا هذا الصباح إلى مؤتمر صحفي في المتحف الوطني ومررنا بنقاط التفتيش كان علينا الوصول في الساعة العاشرة صباحا كما أخبرنا بذلك وخرجت من الفندق في تمام التاسعة وخمس عشرة دقيقة ظنا مني أنه لدي الكثير من الوقت للوصول إلى هناك لكننا بقينا عالقين لمدة خمس وأربعين دقيقة في ازدحام خانق من السيارات نتحرك بسرعة ميل واحد في الساعة إلى أن قامت العربات العسكرية الأمريكية والعراقية بغلق الطريق تماما لكي تمكن المسؤولين العراقيين والأمريكان من المرور إلى المؤتمر والدخول إلى المتحف وقد حاولنا سلوك طرق أخرى للدخول إلى المنطقة ولكن من دون جدوى حيث أن نقاط التفتيش والازدحام المروري حولت مركز المدينة إلى كرنفال فوضوي من السيارات.

لقد كنت مضطربا بسبب التأخير والحل الوحيد أمامي كان يتمثل في السير مشيا على الأقدام وهو أمر صحيح بسبب الأخطار الأمنية المتوقعة لكنني كنت ارتدي ملابس شبيها بما يرتديه العراقيين وهو أمر جيد مكنني من التنكر كي لا يشك أحد أنني أجنبي.

في الحقيقة انه ممتع النزول إلى الشارع والدخول في الأزقة السكنية الفرعية حيث وصلنا في النهاية إلى المتحف الوطني ونحن مرهقون حيث أخبرنا أن المؤتمر قد تأجل لمدة نصف ساعة أخرى المرور ما يزال سيئا وفسحة الوقت المتبقية لدينا مكنتنا من سؤال بضعة سواق متعبين بشأن السير في شوارع بغداد .

يقول مقداد عبد علي البالغ من العمر ٤٢ عاما « اشعر بكثير من السوء « لأنني أضعت ساعة كاملة من الوقت في طريق يستغرق في الحالات الاعتيادية خمس دقائق ويضيف أخوه خالد الذي كان بصحبته قائلا إن الازدحام المروري يؤثر في عمل كل شخص لأن الناس تصل إلى أماكن عملها في وقت متأخر وهي مرهقة.

كان علينا أن نصل إلى العمل في الساعة الثامنة لكننا في الساعة العاشرة الآن ولم نصل بعد وأعصابنا مرهقة بسبب الازدحام. أن أي حافلة صغيرة للركاب كان تقطع المسافة إلى أطراف بغداد في ساعة واحدة أصبحت الآن تحتاج إلى ثلاث ساعات للوصول إلى المكان نفسه بسبب نقاط التفتيش وأضاف عادل قاسم وهو سائق حافلة يبلغ من العمر ٣٧ عاما قائلا:- لم يكن هناك حالات ازدحام مروري قبل الاحتلال كما هو الآن إضافة إلى الاستيراد الضخم للسيارات الذي حدث بعد عام ٢٠٠٣ حينما أصبح العراقيين أحرارا في شراء السيارات المستوردة وهو الامر الذي خلق هذه الفوضى التي تراها الآن.

عن الاندبندنت

مع قرب تولي الحكومة شؤونهم..

غموض يلف مصير السجناء

ترجمة : علاء خالد غزالة

كامب بوكا/ العراق – يقع اكبر معتقل امريكي هنا في الصحراء الجنوبية للعراق. كما انه يقع في محور اكثر النقاشات تعقيدا بشأن نقل السلطة من الجيش الامريكي الى سيادة عراقية كاملة: ما الذي يتوجب فعله ازاء ٥،٠٠٠ سجين اعتبرتهم الولايات المتحدة يشكلون تهديدا للسلم في العراق، والذي تم الوصول اليه بعد قتال ضار ولايزال هشا.

اذا تم تمرير النسخة الاخيرة من الاتفاقية الامنية بين البلدين سوف يكون هناك تغيير واضح: نتيجة التقليل الكبير لعديد القوات الامريكية، فان الجنود الامريكيين لن يتمكنوا بمفردهم من اعتقال المشتبه بهم من المتمردين بعد ٣١ كانون الاول. فحسب القواعد الجديدة يتوجب على الولايات المتحدة ان تطلب الأذن في الاعتقالات، كما ان عليها ان تسلم المعتقلين خلال ٢٤ ساعة.

لكن مصير السجناء الذين هم الان رهن الاعتقال، والذين يبلغ عددهم ١٧،٠٠٠ شخص، لا يزال غير واضح.

نظريا، سوف لن يكون بامكان الولايات المتحدة الاستمرار الاحتفاظ بهم. وبينما تسعى الولايات المتحدة الى تقليل مهمتها في العراق ببطء، يقول القادة الامريكيون انهم متحمسون لاغلاق نظام الاعتقال الذي اثبت انه عبء مالي، كما انه اصاب مصداقية الولايات المتحدة الامريكية، بعد فضيحة قضية التعذيب في ابي غريب.

يقول البريغادير جنرال ديفيد بيركنز، المتحدث الرسمي للقوات التي تقودها الولايات المتحدة في العراق: «سوف ننفض ايدينا من اعمال الاعتقال».

ولكن، في مثال بسيط على التعقيدات الاوسع في تسليم المسؤوليات الى العراقيين، حتى هذا الامر ليس بسيطاً: تعترف السلطات العراقية بعدم جاهزيتها لتولي مسؤولية جميع المعتقلين. لم يتم بناء السجون. ولم يتم تدريب الحراس. وتمتلئ المحاكم بالدعاوى القانونية.

ولكن مفاوضات هادئة، على هامش اطار العمل الاشمل للاتفاقية الامنية، تمخضت فيما يبدو عن السماح للولايات المتحدة بالاحتفاظ ببعض المعتقلين الخطرين بينما تطلق سراح الباقين، وهي تسوية قد تؤدي الى التقليل من الاستقرار الامني الذي تم التوصل اليه مؤخرا في العراق.

يقول البريغادير جنرال ديفيد كوانتوك، القائد العام للقوة القتالية ١٣٤ التي تشرف على المعتقلات في العراق، ان عدد السجناء الذين لازالوا في المعتقلات الامريكية، والذين يعتبرون «متطرفين خطرين» يبلغ ٥،٠٠٠ سجين. ويضيف انه سوف يتوجب على الولايات الامريكية على الارجح ان تطلق سراح ٤،٠٠٠ من هؤلاء المعتقلين حينما ينتهي تفويض الجيش في اعتقال الاشخاص بنهاية العام.

اما غالبية الـ١٢،٠٠٠ معتقل المتبقين، فان الامريكيين يعتقدون انهم اما ان يكون قد تم اعتقالهم بالخطأ اثناء عمليات التمشيط، او انهم أدوا دورا بسيطا في التمرد، وان من غير المرجح ان يعودوا اليه طالما كان بامكانهم الحصول على عمل.

وفي ظل القواعد الجديدة، سوف يسمح للولايات المتحدة ان تحتفظ بالمعتقلين عند توافر احد الشرطين: اذا كان هناك دليل كاف يقدم لقاض عراقي لاصدار مذكرة توقيف، او اذا كان تم بالفعل توجيه التهمة للمعتقل وهو في انتظار المحاكمة. كما يجب ان يطلب العراقيون ان تستمر الولايات المتحدة في الاحتفاظ بالشخص السجين.

في الوقت الراهن، يقول المسؤولون الامريكيون انهم يعتقدون انهم سوف يكونون قادرين على تلبية هذه الشروط في خُمس الحالات فقط من تلك التي يعتبرونها خطرة.

يقول الجنرال كوانتوك: «سوف نستطيع تقديم الادلة الكافية لادانة ١،٠٠٠ متهم وفقا للنظام القانوني العراقي. بالنسبة لـ ٤،٠٠٠ الباقين يجب ان نعمل لايجاد برنامج كفالة متين».

يقوم برنامج الكفالة على اساس ان احد الاشخاص المرموقين في المجتمع، كأن يكون شيخ عشيرة مثلا، يوافق على تولي امر المعتقل، ويتعهد بانه اذا ارتكب جنحة فان شيخ العشيرة او شخص آخر سوف يذهب الى السجن بدلا عنه. يقول الضباط الاميركيون انه من غير الواضح اذا كان بالامكان ايجاد كفيل للافراد السيئين جدا.

تقوم الولايات المتحدة، مع اقتراب موعد نهاية السنة بشكل مخيف، بالعمل بجد لتقليل عدد السجناء في مراكز الاعتقال، في الوقت الذي تؤكد العواقب غير المنظورة حقيقة ان العنف لايزال مستشريا هنا، وتضع علامات الاستفهام بخصوص تسليم كامل للسلطة الى العراقيين. وقد تم قتل بعضا من الذين اطلق سراحهم، ويشتبه الجيش الاميركي في ان القادة المحليين، الذين كانوا قلقين بشأن استقرارية مناطقهم، هم الذين نفذوا عمليات القتل هذه.

وقد كان اكثر عدد للمعتقلين في عموم البلاد قد بلغ ٢٦،٠٠٠ سجين في خريف عام ٢٠٠٧. ومن ثم انخفض العدد الى ١٧،٠٠٠ سجين، وهم الموجودون في كل من معتقل بوكا ومعتقل كروبر، وهو المعتقل الاميركي الاخر، والذي يقع في قاعدة عسكرية كبيرة قرب مطار بغداد الدولي.

كما سيتم اطلاق سراح ٢،٠٠٠ معتقل في الشهر القادم.

وقد أدى اطلاق سراح المعتقلين الى أصدار تحذيرات في المناطق التي عاد اليها المعتقلين، خصوصا في محافظة الانبار، الواقعة غربي بغداد. يقول الجنرال جون كيلي من المارينز ان الشيوخ المحليين جاءوا اليه بعد ان تم اطلاق سراح اول وجبة من المعتقلين واعربوا عن قلقهم العميق.

ويقول: «لقد ذهبا الى الشيوخ وقلنا لهم: علينا ان نطلق سراحهم. ولكنهم كانوا باجمعهم ضد ذلك. قالوا ليس هناك من وسيلة لاحتوائهم. تبلغ نسبة البطالة في المحافظة نسبة ٤٠٪، اما نسبة الاشخاص الذين يعملون من دون تحصيلهم الدراسي فهي اكثر من ذلك «.

ويستطرد قائلا: «وهكذا رتبنا اطلاق سراح عدد معقول، والذي بلغ ٤٥٠ معتقلا في الشهر، وبعد قليل جاءوا الينا وقالوا: يا الهي، انتم لا تعلمون من تطلقون سراحهم، انتم تعتقدون انكم تطلقون سراح جون كيلي، ولكنكم في الواقع تطلقون سراح عبد الكريم. انه سفاح في تنظيم القاعدة في العراق، لكن لا تقلقوا، لقد تولينا امره».

وكان الجنرال يشير في حديثه الى تنظيم القاعدة في بلاد النهرين، وهي المجموعة الإرهابية التي يقودها متطرفون اجانب.

ويمضي الجنرال كيلي في القول: «اما انهم طلبوا منه المغادرة او، حسنا... لقد علمنا بشأن ١٠ او ١٢ من اعمال القتل خارج الاطار القانوني».

حينما واجه السياسيون العراقيون، في الأونة الاخيرة، احد اكثر المظاهر الاتفاقية الامنية الحاحا، والمتمثل بتولي المسؤولية عن المعتقلات الاميركية، تعالت اصواتهم للاعراب عن خشيتهم من بعض المعتقلين الخطرين، ومطالبين باجراء تغييرات على الاتفاقية الستراتيجية.

فقد صرح حيدر العبادي، وهو برلماني وعضو بارز في حزب الدعوة الذي يتزعمه رئيس الوزراء نوري المالكي، قائلا: «تنص مسودة الاتفاقية على ان يقوم الاميركيين باطلاق سراح جميع المعتقلين من قواعدهم حال توقيع الاتفاقية، مما يعني انهم سيطلقون المجرمين من القاعدة واعضاء المليشيات».

ويقول العبادي ومسؤولون آخرون ان العراقيين يرغبون في تمكينهم من المعلومات الاستخبارية الاميركية في القضايا المتعلقة بمعتقلين يعتبرون خطرين حتى يتسنى لهم اصدار مذكرات توقيف بحقهم، ومن ثم فأما ان يتولوا احتجازهم، او يطلبوا من الاميركيين الاستمرار في احتجازهم.

لكن المسؤوليين الاميركيين يقولون ان من غير الراجح انهم سوف يوافقون على تقديم المعلومات الاستخبارية التي بحوزتهم، خاصة تلك التي قد تكشف عن المصدر.

منذ ان بدأت الحرب عام ٢٠٠٣، دأب الجيش الاميركي على اخماد العنف من خلال ما اطلقوا عليه «الاعتقال الامني»، وهو حجز الاشخاص الذين يعتقد انهم يشكلون تهديدا محتملا للامن، من دون توجيه التهمة. وفي ظل القانون العراقي، شأنه شأن القانون الاميركي، ليس هناك من شيء اسمه الاعتقال الامني. في معظم الاحوال، لا يمكن اعتقال الناس من دون اصدار مذكرة القاء قبض بحقهم. وبينما يتم تحويل المسؤوليات الى العراقيين، فان المشتبه بهم لا يمكن ان يبقوا رهن الاعتقال الا اذا كان الاميركيون قد جمعوا الادلة الكافية لتقديمهم امام محكمة عراقية. اما الآخرون فسوف يتم اطلاق سراحهم، ليس فورا ولكن بالتدريج، حتى لا يتم اطلاق سراح عدد كبير من المعتقلين مرة واحدة في المناطق التي لاتزال غير مستقرة، على ان يتم توفير ضمانات، نظرية، من زعماء العشائر المحليين.

وقد تقرر اغلاق معتقل بوكا في منتصف العام القادم. يقول الجنرال كوانتوك انه يأمل، بحلول كانون الثاني، ان يبدأ نقل المعتقلين الى ابنية جديدة يتم بناؤها في التاجي، الواقعة على بعد اميال قليلة شمال بغداد. حينما يتم اكمال بنايات المعتقل في التاجي، فسوف تتسع لـ ٥،٦٠٠ معتقل وسوف تسلم الى العراقيين.

وليس من الواضح ما الذي سيحدث بشأن معتقل كروبر. في هذه الاثناء، يسعى الاميركيون لجمع الادلة الكافية لضمان ان يبقى اكبر عدداً ممكناً من المعتقلين، الذين يعتبرون خطرا كامنا، قيد الاحتجاز اما بناءً على مذكرة قضائية، او ان يتم توجيه التهمة بحقهم امام القضاء العراقي.

بيد ان المحامين العسكريين يقولون ان هذه المهمة سوف تكون صعبة. فقد تم اعتقال الكثير من السجناء في ذروة اعمال التمرد، قبل عامين او ثلاثة اعوام، وبرغم ان الجيش قد استطاع جمع بعض الادلة من مكان الاعتقال فور وقوعه، الا ان العديد من الشهود قد هرب او قتل، كما ان الوحدة العسكرية التي قامت بعملية القاء القبض عليهم، كانت قد غادرت منذ زمن طويل.

عادة ما يتطلب اصدر حكم بادانة المتهم، في المحاكم العراقية، توفر شاهدين اثنين يشهدان بانهما اما شهدا الجريمة او اعتراف المتهم. يقول احد المحامين العسكرين العاملين في وحدة مهمات القانون والنظام، والتي تعمل مع المحاكم، ان اقل من ١٠٪ من القضايا التي نظرت فيها المحكمة الجنائية المركزية قد صدر فيها حكم بالادانة. وبينما توجد طرائق اخرى لتوفير الادلة الكافية للادانة، فان شهادة الشهود والاعتراف يبقيان هما الاكثر شيوعا.

تعد ادلة التحقيقات الجنائية احد اقوى اشكال الاثبات في المحاكمات في الولايات المتحدة، لكنها تبقى غامضة وغير مفهومة بالنسبة للكثير من القضاة العراقيين، الذين يرونها اقل جدارة من الاعتراف. ان هذا التقدير قد بدأ يتغير، لكن القبول يتطلب وقتا.

يقول الجنرال كوانتوك: « قد تظهر ادلة التحقيقات الجنائية ان الشخص كان مغطى بمادة الـ (تي. ان. تي)، ومع ذلك قد لا يعتبر ذلك كافيا كأدلة للتحقيقات الجنائية لذلك سوف نعود الى دراسة القضايا التي بحوزتنا، ونعود لاحضار شهود العيان».

ولغرض منع المزيد من اعمال القتل خارج الاطار القانوني، يقوم الجيش الاميركي بتزويد الشرطة، والشيوخ المحليين وأئمة المساجد بصور المعتقلين قبل اطلاق سراحهم. واذا كانت السلطات العراقية تعتقد انها قادرة على توجيه التهم بحقهم، فبامكان الشرطة ان تطلب من المحاكم اصدار مذكرة القاء قبض حتى يتم اعادة اعتقال المشتبه به فورا.

يقول الجنرال كيلي: «الان، وبينما نطلق سراح عدداً متزايداً من الاشخاص السيئين، فانهم يذهبون الى المحكمة ويستصدرون مذكرة القاء قبض، وعندها يتم اعتقاله في الوقت الذي يطلق فيه سراحه».

هذا هو النموذج الذي يتوقع الجنرال كيلي رؤيته في تزايد. لايزال هناك ٣،٠٠٠ رجل في بوكا جاءوا من الانبار، ويرجح ان الكثير منهم سوف يطلق سراحهم في الشهور القادمة. يقول الجنرال كيلي انه بعد ان اطلق سراح الدفعة الاولى البالغ عددهم ٨٠٠ معتقل فقد «انحططنا إلى الحضيض، الى اشخاص ما كان يجب ان نطلق سراحهم».

عن: نيويورك تايمز

الثغرة: شارع حيفا بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٨

ترجمة : نجاح الجبيلي

كان محمد رحيم يتطلع من نافذة بيته ويريني المكان الذي حطم فيه الانفجار نوافذه قبل أربع سنوات. وأخبرني بأن الزجاج المتحطم تطاير عبر الغرفة حيث كان هو وزوجته ينامان على الأرضية وبينهم أطفالهما الثلاثة.

وقد انشق وجه محمد بسبب الزجاج وكذلك ساقا ابنته الصغيرة. كان يجلس على طاولة بسيطة من الخشب ويبدو محطماً حين يتذكر الانفجار.

مرت اللحظة في ١ / ٣٠ من الدقيقة. انطلقت «طيبة»، ابنة محمد التي تبلغ التاسعة من عمرها، من خلف أمها التي كانت تصغي غائبة في حجرة الجلوس، إلى أبيها. رفعت كاميرتي متوقعاً لمسة إنسانية.

احتضن محمد ابنته وكان مرتاحاً للحظات بسبب وطأة التجربة. أخبرني إحساسي الداخلي بحميمية اللحظة التي شهدتها وعرفت إني حصلت على ما كنت أبحث عنه أنا وطاقمي طوال اليوم.

قبل ثماني ساعات وبينما كنت أشرب قهوة الصباح تكلمت مع مستشارنا الأمني بشأن المكان الذي يمكن أن أصور فيه في ذلك اليوم.

حين كان التذمر من الحرب في أقصاه ، خططنا فقط لتغطية ما هو الأسوأ في النزاع بأي يوم مفترض.

والآن في عام ٢٠٠٨ ، ومع انفتاح بغداد ثانية نتيجة التحسن الأمني، فإن ثروة الفرص تجعل التخطيط مهمة معقدة.

لا يزال من غير المعقول أن نخاطر بحياة العراقيين الذي يجب أن نعمل معهم كي نتفاعل بصورة صحيحة ونفسر بلدهم لنا، لهذا فإن المغامرة تتطلب معرفة المكان الذي نذهب إليه.

تغطية أخبار العراق يعني أنه عليّ أن أهمل رغبة مصوري الفوتوغرافي البوهيمي للتجوال في الشوارع لملاحقة الضوء أو الناس الذين التقيتم وجعلتني المشكلة أفكر بالسنوات الماضية وذكرتني باليوم الذي احترقت فيه مدرعة البرادلي.

عام ٢٠٠٤

قصف المسلحون المنطقة الخضراء واشتبكوا مع القوات الأميركية في شارع حيفا عام ٢٠٠٤ وصلت المكان بعد أن تعرضت دورية أميركية إلى هجوم بسيارة مفخخة أصيبت على أثرها عائلة محمد. راقبت الدورية الأميركية ، وهي تنطلق بسرعة من المكان لينقلوا جرحاهم إلى المستشفى في المنطقة الخضراء على بعد بضعة صفوف من البنايات.

أسرعت إلى مكان الحادث، بصحبة أحد أشجع السائقين المعروفين في مكتبنا ببغداد، وانطلقت مسرعاً من أجل الثغرة.

الثغرة هي لحظة من الزمن بعد حدوث شيء إنها لحظة ذهبية موثقة لأي مصور فوتوغرافي، سواء أكانت في منطقة حربية أو في مدينة نيويورك، مع أخبار بان المصور الفوتوغرافي يحاول أن يخرق النطاق من الشرطة المضروب حول المكان.

وصلت إلى المكان الذي اشتعلت فيه مدرعة البرادلي قبل أن يظهر تماماً محمد أو أي فرد من أفراد عائلته من تحت الزجاج. وبينما كان السائق إلى جنبي ليبقيني حذراً من المخاطر التي يسمع بها أو يراها، شققت طريقي نحو الهيكل المحترق.

اندفع حشداً إلى الناقلة بينما وصلت أنا إلى مقدمتها. رقصوا فوقها بينما كانت الذخائر داخل الحطام تنفجر مثل ألعاب نارية من النوع المكسيكي الصغير. كنت في البقعة الأحلى من الثغرة. كان الحشد مهتاجاً بسبب حرق المدرعة الأميركية ولم يلاحظوني في البداية. على أنه بعد بضع خطوات كانت هناك يد على ذراعي وأخبرني السائق أنهم يريدونني أن أذهب معهم إلى داخل البناية جنب الانفجار. وكانت الثغرة تنغلق بسرعة. لاحظ الحشد الغريب الأجنبي بينهم وبدأوا يبدون اهتماماً بالغاً به.

قال السائق:» علينا أن نذهب. انطلق». وبعد أن ابتعدنا خطوات سريعة بعيداً عن حطام المدرعة لنظهر إننا لم نكن نهرب مثل فريسة، قمنا بالجري. قفزنا إلى السيارة بينما كان الرجال يلاحقوننا ونحن نصل السيارة وراحوا يضربونها محاولين إيقافها بينما كنا نبتعد بسرعة.

وقال السائق:» هل رأيتهم؟ لقد أحاطوا بنا ليمسكونا».

بعد أن غادرنا قام الصحفيون العراقيون، الذي لم يصبحوا بعد ذا قيمة كي يقبض عليهم كرهينة أو تقطع رؤوسهم وتعرض في أشرطة الفيديو، بالتقاط الصور للرجال من شارع حيفا وهم يلوحون بأعلام القاعدة في العراق المرتبطين بالميليشيا الذين رقصوا على المدرعة. لقد أغلقت الثغرة بالنسبة للمصورين الفوتوغرافيين الأجانب لكنها بقيت مفتوحة لبضعة لحظات بالنسبة للمصورين المحليين و الصحفيين.

وتبخرت ثغرتهم بانفجار صاروخين أطلقا من طائرة سمتية أميركية على الناقلة المدمرة. وقتل في الانفجار ١٣ شخصاً وجرح ٦١ كانوا يرقصون حولها إضافة إلى صحفي من قناة العربية. وتم عرض مقتل هذا الصحفي في التلفزيون وغطى الدم عدسات الكاميرا بينما كنت أراقب المشهد من المكتب.

في ذلك اليوم من عام ٢٠٠٤ استعلمت نظرية المصور الفوتوغرافي روبرت كابا، وهو أحد أشد مصوري الحرب اعتباراً، الذي قال:» إذا لم تكن صورك جيدة بما فيه الكفاية، فإنك غير حميم بما فيه الكفاية».

عام ٢٠٠٨

حين تبادلنا الحديث بخصوص ذلك اليوم قبل أربع سنوات، قال السائق إنها كانت اللحظة التي بدأ بها المسلحين في بغداد يكسبون القوة بمساعدة المقاتلين الأجانب. لهذا عدنا بالكثير من الرعب. غامرنا بالعودة إلى البقعة نفسها هذا الشهر.

خلال النهار استمعت إلى معلومات عامة عن شارع حيفا اليوم من طاقمنا المحلي وقررت أن أعيد زيارة المكان ومع فريقنا من العراقيين توقفنا على الطريق في شارع حيفا حيث وقع الحادث.

أعيد تبليط الطريق الآن لكن الكونكريت ما زال مهشماً حيث ضربت المدرعة رصيف الطريق. تجولنا داخل البيت الذي دخلت فيه قبل أربع سنوات. كان محمد يقف عند الباب. رحّب بنا وأظهر لنا آثار الانفجار في البناية التي ما زالت باقية حتى اليوم.

أدخلني إلى البيت وأخبرني كيف أن عائلته أصيبت بالندوب في ذلك اليوم ثم احتضن ابنته وأظهر لي آثاراً بعد أن تم سحب الهيكل المحترق للمدرعة، وتم دفن القتلى وأعيد تبليط الطريق.

وبعد أربع سنوات من لحظة المدرعة برادلي فإن تصوير «طيبة» البنت ذات التسع سنوات، وهي تحتضن أباها محمداً في الشارع نفسه وجدت التماسك والحميمية والتوقيت الذي وصفه أونري كاتريه بريسون وهو المرشد الأكثر فائدة. كتب بريسون مؤلف كتاب « اللحظة الحاسمة» ، وهو حجر الزاوية لحكمة التصوير الفوتوغرافي، « إنها وضع رأس المرء وعينه وقلبه على المحور نفسه».

إن كوني صحفياً مصوراً يغطي أخبار العراق اليوم أخذ مني كل شيء تعلمته دائماً عن التصوير الفوتوغرافي، فالعراق والتجربة الإنسانية وتطبيقها على حدث ما، قلب كل تلك الأشياء رأساً على عقب.